

رِخْلَةٌ مَعَ الْقُرْآنِ

2

مواقف

عَزِيْزِ مِصْرٍ

الحذر

بعد أن ألقى إخوة يوسف أخاهم في البئر، مرّت قافلة من جانبي البئر فأرسلوا أحدهم ليأتي لهم بالماء، فانبهر برؤية يوسف -عليه السلام- مُتعلقاً بالدلو، وقال **{ يَا بَشْرَى هَذَا غَلامٌ }** سورة يوسف 19.

وتمّ بيعه يدراهم معدودة وأصبح عبداً عند وزير ملك مصر الذي استوصى به خيراً بقوله لامراته بأن تكرم مثنواه **{ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِصرَ لِمِراتِهِ أَكْرِمِي مِثْواهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلياً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْويلِ الأَحاديثِ }** سورة يوسف 21

وتنتهي طفولة يوسف بالانتقال من الحب والعطف في كنف أبيه إلى أن أصبح مملوكاً في بيت عزيز مصر، ثاني أهم شخص في مصر.

4

شبّ يوسف -عليه السلام- في قصر عزيز مصر وآتاه الله جمال الخلق، والخلق، والعلم، والحكمة، فأصبح محط أنظار زوجة العزيز التي فتنت بجماله، فبدأت تمهد لأمر خطير وفتنة عظيمة، فشغفها حباً وأغلقت الأبواب وقالت هيت لك، فتفاجئ يوسف -عليه السلام- وقال لها معاذ الله.

{ وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلِقَتِ الأَبْوابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ معاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مِثْوايَ إِنَّهُ لا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ }. سورة يوسف

23

ثم ولى هارباً منها فأمسكت بقميصه من الخلف فتمزق، وإذ بالعزير يقف وراء الباب، واتهمت يوسف -عليه السلام- بالاعتداء عليها لتبرأ نفسها، وسرعان ما أنكر يوسف عليه السلام ذلك وقال بأنها هي التي راودته عن نفسه، وبعد أن رأى العزير أن قميص يوسف تمزق من الخلف علم أن زوجته هي المذنبه.

{ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مَنَ قَبْلَ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مَنَ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مَنَ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنِ إِنَّ كَيْدَكُنِ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * } سورة يوسف

وعلى الرغم من انزعاج العزير الواضح ، إلا أنه لم يكن يريد أن يعرض اسمه ومكانته لمثل هذه الفضيحة. لذا تصرف بحذر و طلب من يوسف عليه السلام أن يعرض عن الأمر, وأمر زوجته بطلب الاستغفار.

(موقع موضوع بتصرف)

{ أكرمي مثواه } يبعث الله العزيز ليوسف عليه السلام ليكرمه
بعد محنته في الجب .

{ عسى أن ينفعنا } تفاءل بالخير .

افترض إخوة يوسف أنهم وضعوا حداً لحياة يوسف بالقائم إياه في
الجب, لكن أمر الله قضي أن يحيا في بيت عز و جاه عند من يهتم
به و يرعاه.

عندما فتح العزيز الباب و وجد زوجته, واجه موقفاً صعباً و مع ذلك لم يتسرع في الحكم على يوسف عليه السلام إلا بعد شهادة الشاهد {وشهد شاهد من أهلها}.

طلَّبُ العزيز من زوجته الاستغفار عن الخطأ الذي بدر منها يدل على أن المبادئ الأخلاقية موجودة في المجتمعات عبر الزمن.

لم يرد العزيز أن تكون زوجته محور حديث أهل البلد فحاول إنهاء المشكلة بهدوء .



الَّذِي اسْتَغَاثَ مُوسَى

8

غوي مبین

{ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُّبِينٌ (18) { سورة القصص.

9

نشأ موسى -عليه السلام- في قصر فرعون حتى بلغ أشدّه، وفي أحد الأيام وبينما هو يمشي في السوق، إذ بمشاجرة تقع بين رجل من بني إسرائيل ورجل من قوم فرعون، فاستغاثه الذي من بني إسرائيل، فأجابه موسى عليه السلم فضرب الفرعونيّ ضربة فقتله، ثمّ توارى موسى -عليه السلام- عن الأنظار وندم واستغفر على ما فعله.

فصار يسير في المدينة في صبيحة ذلك اليوم {خائفا يترقب} أي يلتفت فبينما هو كذلك إذا ذلك الرجل الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستصرخه أي يصرخ به ويستغيثه على آخر قد خاصمه، فعنفه موسى عليه السلام ولامه على كثرة شره ومخاصمته، قال له: {إِنَّكَ لَغَوِي مُّبِينٌ}.

(قصص الأنبياء لابن كثير)

صانعو المشكلات يتلذذون بالجدال و من الأفضل
تجنب مثل هؤلاء الناس.

عندما يكون الجدال غير مثمر و لن يؤدي إلى أي
نتائج , فمن الأفضل تجنبه و التركيز على عمل أكثر
إنتاجية.

عن أبي أمامة الباهلي قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَنَا
زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ
مُحِقًا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذِبَ وَإِنْ كَانَ
مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ. "
(رواه أبو داود بإسناد حديث صحيح)

المؤمنون الذين حُرِّقُوا فِي الْأَخْدُودِ

11

الْعَزِيمَةُ وَالْإِيمَانُ

{وَالسَّمَاءِ ۚ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۙ ۱ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۙ ۲ وَشَاهِدٍ
 وَمَشْهُودٍ ۙ ۳ قِيلَ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ ۙ ۴ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ۙ ۵ أَدَّ هُمْ
 عَلَيْهَا وَعُودٌ ۙ ۶ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۙ ۷ وَمَا
 نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۙ ۸ الَّذِي لَهُ مَلِكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۙ ۹ إِنَّ الَّذِينَ فُتِنُوا
 بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 الْحَرِيقِ ۙ ۱۰ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۙ ۱۱} سورة البروج (1 - 11)

عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"كَانَ مَلِكٌ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبًا، فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ، مَرَّ بِالرَّاهِبِ، وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ، قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا، فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ،

فَأَتَى الرَّاهِبَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ يَلِغُ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ، فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ، وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ، دَعَوْتُ اللَّهَ، فَشَفَاكَ، فَأَمِنَ بِاللَّهِ، فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ؛ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي قَدِ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ، وَالْأَيْرُسَ، وَتَفْعَلُ، وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ؛ حَتَّى دَلَّ عَلَيَّ الرَّاهِبَ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: أَرْجِعْ عَنِ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِثْثَارِ، فَوَضَعَ الْمِثْثَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ؛ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ،

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: أَرْجِعْ عَنِ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَيَّ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرُوتَهُ، فَإِنْ رَجِعَ عَنِ دِينِهِ، وَإِلَّا فَأَطْرَجُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتُمْ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ،

14

فَدَفَعَهُ إِلَيَّ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ، فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورَةٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجِعَ عَنِ دِينِهِ، وَإِلَّا فاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتُمْ، فَاثْقَفَاتُ بِهِمُ السِّفِينَةُ، فَغَرَقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ،

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي؛ حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصَلِّيَنِي عَلَيَّ جَذَعًا، ثُمَّ خِذْ سِيْهُمَا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السِّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، قَتَلْتَنِي.

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ
وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ
فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ
الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ.

فَأَتَى الْمَلِكُ، فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ -وَاللَّهِ- نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ
النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ فِي أَفْوَاهِ السَّكِّ، فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النَّيْرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ
عَنْ دِينِهِ، فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمُوا؛ حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ
لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّه، اصْبِرِي، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ.

(صحيح مسلم)



الَّذِي فَكَّرَ وَ قَدَّرَ

17

الْفَطْرَةَ وَ التَّكْبِيرَ

{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12)
وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهْدٍ لَهُ تَمْهِيدًا (14) تَمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ
(15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا (17) إِنَّهُ
فَكَرَّ وَقَدَر (18) فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ (19) تَمَّ فُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ (20) تَمَّ
نَظَرَ (21) تَمَّ عَيْسَ وَبَسَرَ (22) تَمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنَّ
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُوتَر (24) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأَصْلِبُهُ
سَقْرًا (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقْر (27) لَا تَبْقِي وَلَا تَذَر (28) لَوَاحِجَهُ
لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30) } سورة المدثر (11-30)

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عن عباد بن منصور ، عن عكرمة ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل ، فقال : أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال : لم ؟ قال : يعطونك فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قبله ، قال : قد علمت قريش أنني أكثرها مالا قال : فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لما قال ، وأنت كاره له؛ قال : فما أقول فيه ، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه مني ، ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنه ليعلو ولا يعلى ، قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر فيه؛ فلما فكر قال : هذا سحر يآثره عن غيره ، فنزلت (ذرني ومن خلقت وحيدا) .*

أنعم الله عليه بوفرة المال
و الولد فاختر الكفر بأنعم الله.

الكِبر من مهلكات الإنسان

خطر رفيق السوء
{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَن تَحَدَّ
مَعَ الرِّسُولِ سَبِيلًا ٢٧
يَوِيلَتَنِي لِيَتَّنِي لِمَ اتَّخَذَ فُلَانًا
خَلِيلًا ٢٨ } سورة الفرقان

عرف أن الإسلام حق و لكن
استحى من قومه فكفر فكان
من النادمين.

الأذن^م

رأس المنافقين

{ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8) } سورة المنافقون.

جذور النفاق عميقة في نفس ابن سلول ، وكانت البداية قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم كانت المدينة تعيش قتالاً شرساً بين الأوس والخزرج، ما إن تهدأ ثأرتها قليلاً حتى تعود للاشتعال مرة أخرى ، وانتهى الصراع على اتفاق بين الفريقين يقضي بنبذ الخلاف وتنصيب ابن سلول حاكماً على المدينة .

ووثدت هذه الفكرة بدخول الإسلام إلى أرض يثرب ، وورود الناس حياض الشريعة ، واجتماعهم حول راية النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فصارت نظرة ابن سلول لهذا الدين تقوم على أساس أنه قد حرمه من الملك والسلطان ، وبذلك كانت مصالحه الذاتية وأهواؤه الشخصية وراء امتناعه عن الإخلاص في إيمانه والصدق في إسلامه .

ومنذ ذلك اليوم نصب ابن سلول العداوة الخفية للمسلمين ، مدفوعاً بالحقد الذي تنامي في أحشائه ، والخبث الذي طبعت عليه نفسه ، فكرّس حياته لتقويض دعائم الإسلام ودولته ، وانطلق ينفث سمومه للتفريق بين المسلمين ، وقد تفتن في صنع الافتراءات واختلاق الفتن ، وشين الحرب النفسية ، وزرع بذور الاختلاف ، في الضوء حيناً ، وتحت جناح الظلام أحياناً .

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال:

(كنا في غزاة (بني المصطلق) ، فكسع (ضرب) رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ما بال دعوى جاهلية ؟ ، قالوا يا رسول الله : كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال دعوها فإنها منتنة ، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال : فعلوها ؟ ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فبلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقام عمر فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - "دَعُهُ ، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه" (رواه البخاري)

23

فلما وصل المسلمون مشارف المدينة ، تصدى عبد الله لأبيه ، وقال له : " قف والله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدخول ، فإنه العزيز وأنت الذليل" ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظهر بذلك من العزيز ومن الذليل فلا أذل لابن سلول من أن يقف ولده أمامه ويمنعه من دخول المدينة حتى يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(موقع إسلام ويب بتصرف)

وقال عبد الله, ولد بن أبي بن سلول, "يا رسول الله! إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبيّ فيما بلغك عنه, فإن كنت لا بد فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه, فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني, وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله, فأقتل رجلا مؤمنا بكافر فأدخل النار, فقال له رسول الله ﷺ:

"بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا."*

العزة في التقوى و ليست في العصبية المنتنة.
{إِن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ إِنِ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}
(سورة الحجرات 13)

العزة لله و لرسوله و للمؤمنين , أما المنافقون فهم وسط نفق لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء ...

غيرة عبد الله بن أبي بن سلول من رسول الله صلى الله عليه و سلم,
وحبه للرئاسة منعته من أن ينعم بنور الإسلام الذي أضاء المدينة.

خطر النفاق كبير لأن المنافق يظهر حسن النية بينما يسعى للخراب.

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ
فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}

سورة النساء (145 - 146)

و منهم مَنْ عَاهَدَ اللّٰهَ لِيُنَآتَنَا مِنْ فَضْلِهِ

27

فتنة المال

{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونِنَ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (78)} (سورة التوبة)

قطع بعض المنافقين عهداً مع الله تعالى أنه إذا أعطاهم المال فإنهم سيتصدقون و يكرمون الفقراء بهذه الأموال , و سيكونون من الصالحين , فلما أغناهم الله من فضله أخلفوا عهدهم مع الله تعالى و نقضوه , فأبدلهم الله تعالى نفاقاً في قلوبهم إلى يوم القيامة .

قليل يُؤدّي شكره خير من كثير لا يُؤدّي شكره.



البخل قد يورث النفاق أو يزيدّه.



ليس كل ما نتمناه خيراً لنا.

الَّذِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ

30

حَالِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَمَا يُذْنِبُونَ

قال ابن شهاب : وأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك .

قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة غزاهها قط ، إلا في غزوة تبوك ، غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون يريدون غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة العقبة ، حين تواتقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها .

فكان من خبري حين تخلفت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة . فغزاهها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومفاز ، واستقبل عدوا كثيرا ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع النبي - صلى الله عليه وسلم - كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد بذلك : الديوان - قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا يظن أن ذلك سيخفي ، ما لم ينزل فيه وحي من الله . وغزا رسول الله تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وأنا إليهما أصغر . فتجهز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، [فأرجع ولم أقض شيئا ، وأقول في نفسي : " أنا قادر على ذلك إذا أردت . " فلم يزل ذلك يتمادي بي ، حتى استمر بالناس الجد .

فأصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غاديا والمسلمون معه [، ولم أقض من جهازي شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا . فلم يزل ذلك يتمادي [بي] ، حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن ارتحل فأدرتهم ، فيا ليتني فعلت ، فلم يقدر ذلك لي . فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بلغ تبوك . فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، والنظر في عطفه . [فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت . والله يا رسول الله : ما علمنا عليه إلا خيرا] . فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبينما هو على ذلك ، رأى رجلا مبيضا يزول به السراب ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كن أبا خيثمة . فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري ، وهو الذي تصدق بصاع التمر ، فلمزه المنافقون .

قال كعب : فلما بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد توجه قافلاً من تبوك ، حضرني بشي ، فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : " بم أخرج من سخطه غدا " ؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي . فلما قيل : " إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أظلم قادمًا زاح عني الباطل ، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً ، فأجمعت صدقه . وصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قادمًا ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله .

حتى جئت ، فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ، ثم قال : تعال ، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه . فقال لي : ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه ، إني لأرجو فيه عفو الله ، والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أما هذا فقد صدق ، قم حتى يقضي الله فيك . فقامت ، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا : والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا . لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما اعتذر به المتخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك - استغفار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لك . قال : فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - فأكذب نفسي . قال : ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت . وقيل لهما مثل ما قيل لك . قال : قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن ربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي .

قال : فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا ، فيهما أسوة . قال : فمضيت حين ذكروهما لي .

ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين من تخلف عنه . قال : فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض ، فما هي بالأرض التي أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ،

فكنت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ، ولا يكلمني أحد ، وأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : " هل حرك شفثيه برد السلام أم لا ؟ " ثم أصلي معه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلي فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام .

فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أنني أحب الله ورسوله ؟ فسكت . قال : فعدت فناشدته ، فسكت ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسورت الجدار .

فبينما أنا أمشي في سوق المدينة ، إذا بنبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : فطفق الناس يشيرون له ، حتى جاءني ، فدفع إلي كتابا من ملك غسان ، وكنت كاتباً ، فقرأته ، فإذا فيه : " أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك " .

قال : فقلت حين قرأته : وهذا أيضا من البلاء . فتأملت به التنور فسجرت به . حتى إذا مضت أربعون من الخمسين ، واستلبت الوحي إذا رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتيني فقال : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمرك أن تعتزل امرأتك . قال : فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها فلا تقربها . قال : وأرسل إلى صاحبي بذلك . قال : فقلت لامرأتي : الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر .

قال : فجاءت امرأة هلال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ فقال : لا ولكن لا يقربنك . قالت : فقلت : إنه والله ما به حركة إلى شيء . ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . قال : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه ؟ قال فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يدريني ماذا يقول لي إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ؟

فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كلامنا . قال : ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا ، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر . قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج . قال : وأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلي فرسا ، وسعى ساع من أسلم قبلي ، وأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس . فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني ، نزعته له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أتأمم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنيوني بالتوبة ويقولون : لتهنك توبة الله عليك . حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد حوله الناس ، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني ، وهنأني ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك . فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سر استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

قال : فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله : إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أمسك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخير . وقلت : يا رسول الله : إن الله إنما أنجانني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت . قال : فوالله ما علمت أحدا من المسلمين ابتلاه الله في صدق الحديث - منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام - أحسن مما ابتلاني . والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى يومي هذا . وإني أرجو أن يحفظني الله فيما بقي . قال : فأنزل الله : (لقد تاب الله على النبي) حتى بلغ : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) إلى : (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

37

قال كعب : والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوه . فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد : **{ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون }** إلى قوله : **{ لا يرضى عن القوم الفاسقين }** سورة التوبة : 95 ، 96 . قال كعب : خلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توبتهم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرنا حتى قضى الله فيه . فبذلك قال الله : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا ، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه .

(تفسير الطبري)

• {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}
سورة التوبة (118)

• روعة الحقيقة ... الحقيقة مُنقذة من التهلكة حتى لو كانت مريرة.

• لم يكن لدى كعب بن مالك نية سيئة، لكن تسويفه قاده إلى هذه المشكلة. و هنا يتجلى عمل الشيطان ؛ بتأخير الأمور خطوة بخطوة حتى لا يتمكن المرء من إكمال المهمة.

• لا شيء يمكن أن يردع التوبة الصادقة .

• قلب المؤمن حي دوماً ... فلا سكينه له دون رضا الله عز و جل.

• {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} سورة الرعد 28.

• اللهم املأ قلوبنا إيماناً و تقوى و ثبتنا على دينك القويم ...
أمين.

تمّ بفضل الله